جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيل لي اني مثل فرعون الذي سال ربه ان
يجري له النيل فاجراه له قلت فما يمنني ان يكون الله يعطيني كل حظي في الدنيا
وابقى في الآخرة فقيرا لاشيء لي فهذا الذي ازعجني فاحوال العارفين كلها
تدل على انهم لم يكونوا يلتفتون الى هذه الخوارق وانما كان اهتمامهم بمعرفة
الله وخشيته ومحبته والانس به والشوق الى لقائه وطاعته والعلماء الربانيون
يشاركونهم في ذلك ويزيدون عليهم بالعلم بامر الله وبدعوة الخلق الى الله وهذا
هو الفضل العظيم عند الله وملائكته ورسله كما قال بعض السلف من علم وعمل
وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء واذا ظهر فضل العالم على العابد فانما
المراد تفضيله على العابد بعلم فاما العابد بغير علم فانه مذموم ولهذا شبهه
السلف بالسائر على غير طريق وبانه يفسد اكثر مما يصلح وبانه كالحمار في
الطاحون يدور حتى يهلك من التعب ولا يبرح من مكانه وهذا اشد ظهورا
ووضوحا من ان يحتاج الى بسط القول فيه ولنضرب ههنا مثلا جامعا
لاحوال الخلق كلهم بالنسبة الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقسامهم
في اجابته دعوته الى سابق ومقتصد وظالم لنفسه وبه يظهر فضل العلماء الربانيين
على غيرهم من الناس اجمعين فنقول مثل ذلك كمثل رسول قدم من بلد الملك
الاعظم فادى رسالة الملك الى سائر البلدان وظهر لهم صدقه في رسالته فكان
مضمون رسالته التي ادّاها من عند الملك الاعظم الى رعيته ان هذا الملك لا
احسان اتم من احسانه ولا عدل اكمل من عدله ولا بطش اشد من بطشه وانه
لابد ان يستدعي الرعية كلهم اليه ليقيموا عنده ثم قدم عليه باحسان
جزاه باحسان افضل الجزاء ومن قدم عليه باساءة جزاه باساءة تراشد الجزاء
وانه يحب كذا وكذا ويكره كذا وكذا ولم يدع شيأ مما تعمله الرعية الا نهم
بما يحبه الملك منه وبما يكرهه وامرهم بالتجهز والسير الى دار الملك التي فيها
الاقامة واخبرهم بخراب جميع البلدان سوى ذلك البلد وان من لم يتجهز
للسير بعث اليه الملك من يزعجه عن وطنه وينقله منه على اسوء حال و
جعل يصف صفات هذا الملك الحسن من الجمال والكمال والجلال والافضال
في اجابته هذا الرسول الداعي الى الملك افساما عديدة فمنهم
من صدقه ولم يكن له هم الا السؤال عما يحب هذا الملك من الرعية واستصحابه اياه
في تحصيله داره عند السير اليه فاشتغل بتخليصه لنفسه وببذل ما يمكنه دعاؤه من
الخلق

الخلق الى ذلك وعما يكرهه هذا الملك فاجتنبه وامر الناس باجتنابه وجعل
همه الاعظم السؤال عن صفات الملك وعظمته وافضاله فزاد ذلك محبته
لهذا الملك واجلاله والشوق الى لقائه فاستحل الى الملك مستصحبا لنفسه ما
قدر عليه مما يحبه الملك ويرتضيه واستصحب معه ركبا عظيما على مثل
حاله سار بهم الى دار الملك وقد عرف من جهت ذلك الدليل الذي هو الرسول اطرق
اقرب الطرق التي يتوصل بالسير فيها الى الملك وما ينفع من التزود للمسير فيها الى الملك
وعمل بمقتضى ذلك في السير وهؤلاء من اتبعه فهذه صفة العلماء الربانيين الذين
اهتدوا وهدوا الخلق معهم الى طريق الله وهؤلاء يتقدمون على الملك قدوم
الغائب على اهله المنتظرين لقدومه المشتاقين اليه اشد الشوق وقسم
آخرون اشتغلوا بالتاهب لمسيرهم بانفسهم الى الملك ولم يتفرغوا لاستصحاب
غيرهم معهم وهذه صفة العباد الذين تعلموا ما ينفعهم في خاصة انفسهم و
اشتغلوا بالعمل بمقتضاه وقسم آخرون تشبهوا باحد القسمين واظهروا
للناس انهم منهم وان قصدهم التزود للرحيل وانما كان قصدهم استبطان دراهم
الفانية وهم العلماء والعباد المراؤون باعمالهم لينالوا بذلك مصالح دراهم
التي هي بها مستوطنون وحال هؤلاء عند الملك الاعظم اذا قدموا عليه اشر
حال ويقال لهم اطلبوا جزاء اعمالكم ممن عملتم لهم فليس لكم عندنا من خلاق
وهم اول من تسعر بهم النار من اهل التوحيد وقسم آخرون فهموا ما ادّاه
الرسول من رسالة الملك لكنهم غلب عليهم الكسل والتقاعد عن التزود للسفر
واستصحاب ما يحب الملك واجتناب ما يكرهه وهؤلاء العلماء الذين لا يعملون
بعلمهم وهم على شفى هلكة وربما انتفع غيرهم بمعرفتهم ووصفهم لطريق السير
فسار المتعلمون فنجوا وانقطع بمن تعلموا منه الطريق فهلكوا وقسم آخرون
صدقوا الرسول فيما دعى اليه من دعوة الملك لكنهم لم يتعلموا منه طريق السير
ولا معرفة تفاصيل ما يحبه الملك وما يكرهه فسار وا بانفسهم ورموا انفسهم
في طرق شاقة ومخاوف وقفار وعرة فهلك اكثرهم وانقطعوا في الطريق ولم
يصلوا الى دار الملك وهؤلاء الذين يعملون بغير علم وقسم آخرون تهذه
الرسالة ولم يفعلوا بها شيأ واشتغلوا بمصالح اقامتهم في اوطانهم التي اختير
الرسول بخرابها وهؤلاء منهم من كذب الرسول بالكلية ومنهم من صدقه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)